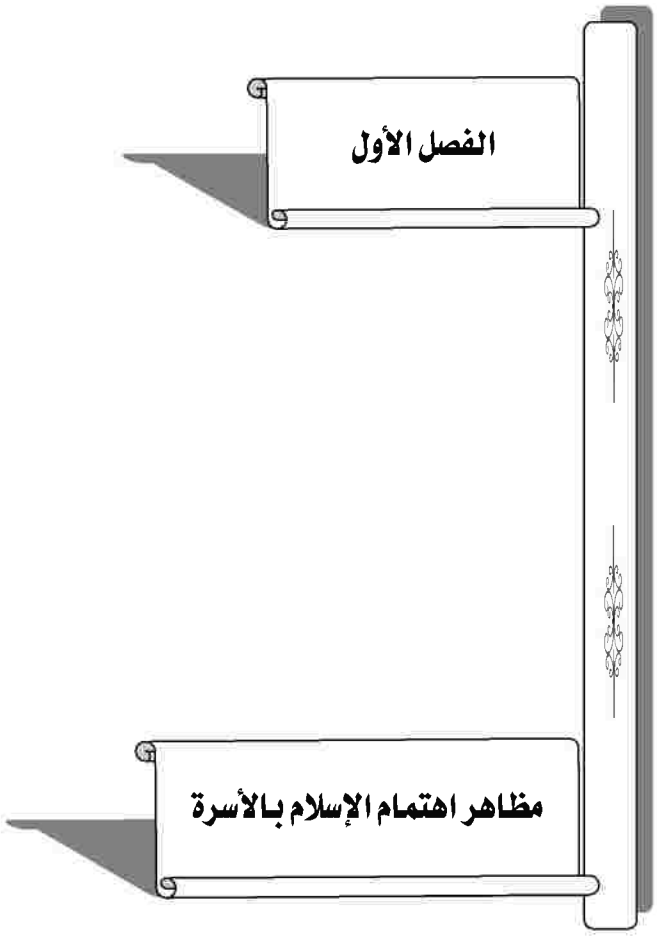
الفصل الأول
مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة

مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة

اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً إيماناً منه بأهميتها ودورها فى بناء المجتمع ولأنها المحضن الأساس للطفل الذي سوف يكون – رجل أو امرأة – المستقبل .

وجاء اهتمام الإسلام بالأسرة من خلال دعوته لتكوينها عن طريق الزواج الشرعي لتحقيق شيئين مهمين : أولهما إشباع الغريزة الجنسية . وهي فطرة في الإنسان فلم يشأ الله تعالى أن يجعل الإنسان كغيره من المخلوقات . فلم يدع غرائزه تنطلق بلا وعي ولم يترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى بلا ضابط بل وضع النظام الملائم لإشباع هذه الغريزة . الذي من شأنه أن يحفظ على الإنسان شرفه وكرامته وعفته ويحمي المجتمع من الرذيلة فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً مبنياً على رضاها ورضا والديها وإشهاد على هذا الرضا بمباركة السماء .

وبهذا وضع الحق تبارك وتعالي للغريزة الجنسية سبيلها المأمون وحمي النسل من الضياع وصان المرأة عن أن تكون كلأ مباحاً لكل راتع ، كما كان يحدث في الجاهلية الأولي وكما يحدث الآن في الجاهلية الحديثة (الغرب وما يحدث فيه الآن).

وثانيها : أن جعل هذا الاتصال بهذه الطريقة هو الأسلوب الأمثل والوحيد لإنجاب الذرية الصالحة الذي هو أساس لعمارة الكون واستمرار الحياة علي ظهر الأرض وهو هدف رئيس من أهداف الزواج . وبذلك يكون قد حفظ الأنساب من الاختلاط .

هذا هو النظام الذي ارتضاه الحق تبارك وتعالي للإنسان وأبقي عليه الإسلام وهدم كل ما عداه من أنكحة فاسدة كانت قبل الإسلام .

ولكي ندرك عظمة هذا النظام لابد أن نلقي نظرة سريعة على بعض صور النكاح في الجاهلية لنعرف الفرق الكبير والبون الشاسع بينهما .

صور من الأنكحة الفاسدة قبل الإسلام :

١- **نكاح الخدن** : والذي أشار إليه الحق تبارك وتعالى في قوله ﴿ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء : ٢٥] ومعني أخدان أي أصحاب وخلان وهي علاقة غير شرعية بين رجل وامرأة تحت مسمي الصداقة بما يشبه العلاقات الحديثة التي تعرف باسم (boy / giral friend) بوي أو جيرل فريند .

٢- **نكاح الاستبضاع** : وهو أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من حيضها : اذهبي إلي فلان فاستبضعي منه أي (جامعيه) ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها فإذا تأكد من حملها أصابها إن أحب . ويفعل ذلك رغبةً في ذكاء وقوة جسم وذهن الولد .

٣- **نكاح الرهط** : وهو أن يجتمع عشرة رجال على المرأة فيدخلون عليها كلهم يجامعها فإذا حملت جمعتهم جميعاً ونسبت الولد لأيهما شاءت ولا يستطيع أحد أن ينكره .

٤- **نكاح البدل** : كان الرجل يقول للرجل أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك كذا . (٣)

هذه بعض صور النكاح في الجاهلية الأولى ولعلنا نجد تشابهاً كبيراً بينها وبين ما يحدث الآن في الجاهلية الحديثة (الغرب وما يحدث فيه) .

وإذا أردنا أن نستطلع منهج الإسلام ومظاهر اهتمامه بالأسرة فإن ذلك يتضح من خلال دعوته للزواج ، وحض أتباعه عليه، والترغيب فيه بصور متعددة .

---

(٣) سيد سابق " فقه السنة " ج ٢ ص ٨ ، ٩

* ترغيب الشريعة الإسلامية في الزواج :

لقد رغّب الإسلام في الزواج بصور متعددة . فيذكر أن الزواج من سنن الأنبياء وهدي المرسلين وهم القادة والقدوة الذين يجب أن نقتدي بهم ونهتدي بهداهم قال تعالي ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٨] وقال رسول الله ﷺ "أربع من سنن المرسلين الحناء وفى رواية الحياء والتعطر والسواك والنكاح" [رواه الترمذي عن أبي أيوب]

ويذكر الله تعالى في معرض امتنانه علي عباده فيقول ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [النحل : ٧٢]

وقد يتردد الإنسان في الإقدام على الزواج خوفاً من تكاليفه فيلفت القرآن نظره إلي أن الله سوف يجعل له من الزواج سبيلاً للغني يقول تعالى ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور : ٣٢] وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " ثلاثةٌ حق علي الله عونهم : المجاهد في سبيل الله – والمكاتب (١) الذي يريد الأداء والناكح (٢) الذي يريد العفاف) [رواه الترمذي] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : " الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة " [رواه مسلم] وقال ﷺ : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ومن لم يستطع . فعليه بالصوم فإنه له وجاء " [متفق عليه]

وترغيباً في طلب الولد قال تعالي ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦] ولا يتأتي ذلك إلا بالزواج وقال ﷺ " تزوجوا الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"

---

(1) العبد الذي اتفق مع سيده علي فداء نفسه بالمال.
(2) الذي يريد الزواج .

[رواه النسائي وأبو داود] وقال تعالي في معرض حديثه عن صفات عباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان : ٧٤] أي إنهم يعرفون أن الزواج والذرية قرة لعيونهم .

كما وضح الإسلام أن الزواج عبادة يستكمل بها الإنسان دينه ويلقي ربه علي أحسن حال من الطهر والنقاء فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه علي شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي " [رواه الطبراني وصححه الذهبي] وقد أشار الرسول ﷺ إلي هذا المعني في حديث آخر قال فيه " من أراد أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر " [ضعيف ابن ماجه]

وجاء قول مأثور عن عبد الله بن مسعود قال " لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام وأعلم أني أموت بعدها ولى طَوْل النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة " (٣)

وجاء أن أحد الصالحين لما توفيت زوجته تزوج بغيرها في نفس الليلة فلما عاتبه أولاده علي عدم صبره علل لهم ذلك بقوله : " أتحبون أن يلقي أبوكم ربه غداً بنصف دينه " .

* تيسير الزواج ودعوة الإسلام إلي عدم المغالاة في المهور

وحينما رغّب الإسلام أتباعه في الزواج لم يتركهم هكذا سُدىً يعانون ويكابدون مرارة العيش في سبيل الإعداد للزواج كما يحدث في عصرنا الحاضر الذي أصبح الزواج فيه أمرا عسيراً .

ولكن الإسلام أمر بتيسير الزواج فها هو رسول الله ﷺ يضع معيار الزواج الخلق والدين فقط فقال ﷺ " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [رواه الترمذي]

---

(٣) سيد سابق " فقه السنة " الفتح للإعلام العربي ج ٢ ص ٩

فيجعل رسول الله ﷺ التعسير في أمر الزواج والمغالاة في المهور يؤدي إلي فساد المجتمع وها نحن صرنا إلي هذه الفتنة ومن ورائها فسادٌ كبير .

ولعله قد جاء قول مأثور عن أحد الصالحين يشير إلي هذا المعني حينما قال "من يسّر إلي زواج فقد عسّر الى زنا ، ومن عسّر في زواج فقد يسّر إلي زنا " .

فالإسلام يحرص علي إباحة فرص الزواج لأكثر عدد ممكن من الرجال والنساء لينجو بالمجتمع من الفساد . ولن يتم ذلك إلا إذا كانت وسيلة الزواج ميسرة بحيث يقدر عليها الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير لاسيما أنهم الأكثرية .

ولهذا كرَّه الإسلام التغالي في المهور وأخبر أنه كلما كان المهر قليلاً كلما كان الزواج مباركاً فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال " إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة " [رواه أحمد] ، وقال أيضاً ﷺ " إن من يمن (بركة) المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها " [رواه أحمد] .

بل إن تأخير الزواج انتظاراً للزوج الموسر فيه إكراه للرجال والنساء علي ممارسة الفاحشة وإفضاء الغريزة الجنسية بطريقة غير شرعية بعد عجزه عن إفضائها بطريق شرعي .

ولعل هذا ما أشار إليه أحد المفسرين حينما تعرض لتفسير قول الحق جل وعلا ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٣٣] فجعلوا من صور الإكراه علي الزنا أن يرفض ولي البنت الزوج تلو الآخر انتظاراً للزوج الموسر وهو انتظارٌ لعرضٍ زائل . ([1])

([1]) في ظلال القرآن لسيد قطب

وكثيرٌ من الناس قد جهل هذه التعاليم وحاد عنها وتعلق بعادات الجاهلية من التفاخر بالتغالي في المهور – وكأن المرأة أصبحت سلعة يساوم عليها ويتاجر بها ويفوز بها من يدفع أكثر – فجاء الإسلام ليحرر العقول من هذه المفاهيم الخاطئة فأمر بتيسير الزواج وتقليل المهور بما لا يضر بالزوج ، ولا يهين أو يقلل من شأن الزوجة .

ففي الوقت الذي أوجب علي الزوج أن يقدم مهراً لزوجته قال تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٤] فإنه في نفس الوقت أوجب على الزوجة ووليها أن يتساهلوا في أمر الزواج والمهر .

فلقد زوّج رسول الله ﷺ رجلاً من امرأة بما معه من القرآن فكان صداقها أن يعلمها سورتي : البقرة ، وآل عمران . وقال لآخر مؤكداً علي وجوب تقديم المهر " التمس ولو خاتماً من حديد" [رواه البخاري] .

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فلم يزد مهر بنات النبي ﷺ عن أربعمائة درهم .

هذه هي دعوة الإسلام لتيسير الزواج لكي ينجو بالمجتمع من الفتن وتفشى الرذيلة .

وما خلق لنا التغالي في المهور إلا أزمة كبيرة يئن منها المجتمع الآن وهي العنوسة : نتيجة عزوف الكثير من الرجال والنساء عن الزواج والتي زادت نسبتها فى الآونة الأخيرة بين الرجال والنساء وإن كانت في النساء أكثر – وهذا مكمن الخطورة – . ولقد كان للزكاة دور كبير في إعانة الراغبين في الزواج في عصر الخلفاء الراشدين خاصة عمر بن عبد العزيز الذي وجد فائضاً في بيت مال المسلمين فأمر بإعانة الراغبين في الزواج من بيت المال .

وليكن شعارنا ونحن نُزوّج بناتنا هو ما قاله شعيب لسيدنا موسي عليه السلام حينما أراد أن يزوّجه ابنته قال ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٧] فليكن ذلك شعارنا .

فلسفة الإسلام من الحث على الزواج

للإسلام فلسفة حكيمة من وراء الترغيب والحث على الزواج بهذه الطريقة وذلك لما يترتب علي الزواج من آثار نافعة تعود علي الفرد والمجتمع والأمة كلها وعلي النوع الإنساني عامة منها :

١- إرواء الغريزة الجنسية :

والتي تعتبر من أقوي الغرائز التي تتنازع النفس الإنسانية وأعنفها .

فما لم يكن هناك ثمة مجال يشبعها انتاب الإنسان حالة من القلق والاضطراب النفسي ونزعت النفس شر منزع . في هذا التوقيت تجد الحق تبارك وتعالي ، وهو الخالق لهذه النفس العليم بما تشتهيه ، يشرع لها ويفسح لها مجالاً لإشباع هذه الغريزة عن طريق الزواج وعندها يهدأ البدن من الاضطراب ، وتسكن النفس عن الصراع ، ويكف النظر عن التطلع إلي الحرام ، وتطمئن العاطفة وتركن إلي ما أحل الله لذلك يقول الله تعالي ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١] وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : " إن المرأة تُقبل في صورة شيطان وتُدبر في صورة شيطان . فإذا رأي أحدكم من امرأةٍ ما يعجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه " [رواه مسلم] انظر إلى هذا المعني الذي يشير إلي العفة العظيمة التي يصنعها الزواج .

فالرسولﷺ ينصح كل من أُفتتن بشيء في أي امرأةٍ أجنبية عنه وأعجبه منها شيء فليسرع ويجامع زوجته فإن ذلك يمحو سريعاً ما وقع في نفسه من رغبة في أي امرأةٍ أخري .

هكذا نري كيف أن الزواج يعف الفرد ويشبع رغبته ويقي المجتمع والأمة كلها من الرذيلة .

٢- إن الزواج ينمي عاطفة الأبوة والأمومة:

ففي ظل الطفولة تنمو مشاعر العطف والحنان . وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها . فقد يكون الشخص في الظاهر قاسي القلب جامد المشاعر قبل الزواج ولكنه بعد الزواج تجد أن الزواج يحرك مشاعره . ويستخرج ما في مكنونه من أحاسيس ، ثم يأتي الولد في حياته ليستخرج ما بقي بداخله من عطف وحنان وحب ومودة ولين لم تكن معروفة عنه .

فمثلاً كم من رجال كانوا يسمعون بكاء الطفل أو تألمه أو توجعه ولا يحرك فيه شيئاً ، تجد هؤلاء بعد الزواج والإنجاب يتأثرون أشد تأثير حينما يسمعون نفس البكاء الذي كان لا يحرك فيهم ساكناً . بل تجدهم في لهفة وتسابق علي إسكات هذا الطفل عن البكاء حتى ولو لم يكن يعرفه . وتزداد هذه الغريزة كلما كبر الزوج وأصبح جداً لذلك يقال إن " أعز الِولد وِلد الوِلد " . تلك مشاعر فجرها الزواج في النفس الإنسانية لم تكن لتوجد لولا الزواج والإنجاب.

٣- الشعور بتبعة وأعباء الزواج ورعاية الأولاد :

هذا الشعور يدفع الإنسان إلي بذل كل وسعه ويستنفر كل قواه للعمل المتواصل من أجل توفير حياة كريمة لزوجته وأولاده وهذا من شأنه أن يقوي ملكات الفرد وينمي مواهبه فيكتشف الإنسان في نفسه مواهب وقدرات لم يكن يعرفها هو عن نفسه ولم تكن لتخرج لولا أن الزواج اضطره لذلك . فمثلاً لو أن كل رجل أحس أنه مسئول عن نفسه فقط فإنك تجده يبذل من طاقته في عمله ما يكفيه ويكفي احتياجاته هو وحده ويدخر باقي طاقته وبذلك يفقد المجتمع طاقات وقدرات ومواهب في أفراده لم تكن لتخرج لولا إحساسه بأعباء الزواج ورعاية الأبناء .

وهذا من شأنه أن يفتح أبواباً كثيرةً للرزق ويفتح آفاقاً جديدة لزيادة الإنتاج مما يساهم في رقي وتقدم المجتمع .

إذن فالزواج لا يسهم فقط في تطهير المجتمع من الرذيلة . ولكنه يسهم في رقى المجتمع وتقدمه اقتصادياً .

٤- الزواج يزيد من ترابط الأسر ويقوي أواصر المحبة بين العائلات :

فلا يقتصر حب الفرد علي نفسه وأولاده بل يتعداه بسبب الزواج إلي الأصهار وأصهار الأصهار فيزداد المجتمع تماسكاً وترابطاً وتزيد بينهم أواصر المحبة وتقوى الروابط الاجتماعية مما يؤدي إلي سعادة هذا المجتمع وقوته . فإن المجتمع المترابط المتحاب هو المجتمع السعيد من ناحية ،. والقوى الذي لا يستطيع أي عدو أن ينفذ إليه ، أو يفت في عضده ، أو يفرق بين أفراده من ناحية أخرى .

٥-بقاء النوع الإنساني :

فمن أهداف الزواج في الإسلام المحافظة علي بقاء النوع الإنساني يقول تعالي ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [الفرقان : ٥٤] ويقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان : ٧٤] فيوضح الله تعالى أن من صفات عباد الرحمن أنهم يسألون الله دائماً أن يخرج لهم من أصلابهم من يعبد الله وحده ويطيعه[1] وبهذا تقر أعينهم ويقول تعالي ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل : ٧٢]

يقول ابن عباس " بنين وحفدة " هم الولد وولد الولد وهكذا " [2] ولذلك أتي رجلٌ رسول الله ﷺ " وقال يا رسول الله ﷺ أصبت امرأةً ذات جمال وحسب وإنها لا تلد

([1]) ابن كثير ج٣ صـ ٣٢٨ .
([2]) ابن كثير صـ٢ .

أفأتزوجها ؟ قال : لا وأعادها ثلاثاً : فقال ﷺ في الثالثة : تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة " [أبو داود والنسائي والحاكم وصححه]

***